كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

جمال الدين الأفغاني

وخلاصة أثره الفكري في إيران

(تعريف وتوصيف)

الأستاذ الدكتور علي زوين

٢٠٢٤

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٢/ ٩٢٣

ز ٩٩٩ زوين ، علي .

جمال الدين الافغاني وخلاصة اثره الفكري في ايران / علي زوين. - ط١.- بغداد: مطبعة الرفاه، ٢٠٢٣م.

٤٢ ص؛ ٢١ سم

١. الافغاني، جمال الدين (مفكر سياسي) ٢. ايران- الاحوال السياسية. أ. العنوان

رقم الإيداع
٤٧٨٩/ ٢٠٢٣

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٤٧٨٩ لسنة ٢٠٢٣م

ISBN: 978-9922-685-73-1

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

أوضاع إيران في العصر القاجاري

حكمت الأسرة القاجارية إيران أكثر من قرن تبلورت فيه سياسة إيران الداخلية والخارجية وعلاقاتها بالدول المحيطة بها ولاسيما الامبراطوريتين العثمانية وروسيا القيصرية ، وظهر الاستعمار البريطاني سلطة مهيمنة على الهند والشرق الأدنى وكان له أثر مهم في مجريات السياسة والسيادة الإيرانية على بعض أراضيها التابعة لها . وقد خسرت إيران في هذه الفترة أكثر الأراضي والمدن الواقعة على الساحل الآخر من بحر قزوين ، وخسرت أفغانستان وتقلص إقليم خراسان ، وفقدت عدة جزائر في الخليج يضاف الى ذلك عُمان والبحرين .

لقد تردت الأحوال السياسية والعسكرية بعد الحرب الطاحنة التي جرت بين إيران وروسيا

القيصرية وامتدت سنين من مطلع القرن التاسع عشر في عهد فتحعليشاه القاجار وضعفت الإدارة القاجارية باندلاع بعض الحركات الانفصالية الداخلية وسوء الأوضاع الاقتصادية وبخاصة في عهود السلاطين الذين تولوا زمام الأمور بعد فتحعليشاه .

وتأخرت إيران عن ركب الحضارة الحديثة والتطور في الميادين العلمية والثقافية بعد قيام الثورة الصناعية في أوربا وظهور الاستعمار الحديث .

وكانت الفترة التي حكم فيها ناصر الدين شاه القاجار وامتدت نصف قرن حتى مقتله على يد أحد المتأثرين بأفكار السيد جمال الدين الأفغاني من فترات الاستبداد المطلق للملك وحاشيته على الرغم من تأثر ناصر الدين شاه

بالحضارة الأوربية في أسفاره لأوربا ومحاولاته المضطربة وغير المنظمة لإدخال بعض الإصلاحات على النظام الإداري والاقتصادي والخدمات العامة كفتح البريد على أسس حديثة والاتصالات عن طريق التلغراف وانشاء بعض المصانع الصغيرة كمصنع السكر ... الخ . إن نية الشاه كانت غير مستقرة والأهواء تتجاذبه بيد أنه كان يكره الحكم المشروط المقيد بالدستور والحكم البرلماني القائم على الانتخابات. واعتمد على حاشية سيئة النوايا لا تفكر بالاصلاح إلا على قدر ما يدرّ عليها من منافع ، يستثنى منهم عدد قليل ظهر في هذه الفترة وله علو هّمة وإرادة في الاستفادة مما توصل اليه الغرب من تطور في الميادين المختلفة ولاسيما الثقافية والتعليمية ، ففتحت (دار الفنون) وهي جامعة تعنى بالعلوم

والثقافات استدعي للتدريس فيها مدرسون فرنسيون وغيرهم من الأوربيين وفتحت المطبعات الحديثة وترجمت بعض الكتب ذات المغزى الثقافي والعلمي والحضاري من الفرنسية والإنكليزية ، وألفت كتب في الافكار والتيارات السياسية الحديثة التي ظهرت في أوربا وامتدت الى الشرق كالأفكار الداعية الى الحريات العامة والنظم البرلمانية والانفتاح على الحضارات والثقافات العالمية ونبذ التعصب ومحاربة الفقر والجهل... الخ .

إن هذه المحاولات لأولئك القلة من الوزراء ورؤساء الوزراء لم يكتب لها النجاح والديمومة والرقي لرغبة الشاه في الإبقاء على الحكم الاستبدادي ورغبة حاشيته ولاسيما الأسرة القاجارية في ذلك .

وفي عهد ناصر الدين شاه بدأت أولى الإرهاصات والمقدمات للثورة الدستورية المسماة بـ(المشروطة) والتي اندلعت سنة (١٩٠٦م) ؛ فالحالة الاقتصادية المتردية وسوء الإدارة وتفشي الرشوة والمحسوبية والمنسوبية وظلم الحكام والجهل والفقر وشيوع الآفات الاجتماعية ولاسيما تعاطي المخدرات كالترياك والحشيش على نطاق واسع والهوة الكبيرة بين طبقة صغيرة متسلطة من الأغنياء وبين ذوي الدخل المحدود من الكسبة وصغار التجار ، وبينهما معاً وبين السواد الأعظم من الشعب الذي كان يحيا حياة الشظف والفقر وشيوع الأمية بين الناس والأمراض المسرية ولاسيما الأمراض التناسلية كالزهري والسفلس والمحاولات التي كان يسعى إليها الحكام في منع تسرب الأفكار الجديدة والاتجاهات الحرة الوافدة

مـن الغـرب بمنـع الصـحف والكتـب والترجمـات وحرمـان النـاس من إرسال أولادهم الـى دول أوربـا لتحصيل العلم والمعرفة وحرمان العامة من التعلم وإهمـال التعلـيم والاقتصـار علـى عـدد قليـل مـن المدارس الحديثـة وحجبهـا عـن العامـة لكـي تبقـى لعليـة القـوم فقـط مـن الحكـام وحاشـيتهم وكبـار التجار . تلك الأسباب كلها وغيرها كانت مقدمات واضـحة لانـدلاع الثـورة الدسـتورية . ومـع ظهـور شخصية السيد جمال الدين الأفغاني وشيوع أفكاره وأعمالـه وأقوالـه فـي إيران واستقدامه إليها واتصـاله بالطبقــة المتنــورة مــن الساســة وعلمــاء الــدين والمثقفين، وشـغف هؤلاء وغيرهم من عامة النـاس بأسـلوبه ومسـلكه وأفكـاره وجرأتـه ولباقتـه وبـلاغتـه تبدأ مرحلة جديدة من عصر لا نبالغ اذا وصفناه بعصـر التنـوير ، لأن مـا فعلـه السـيد فـي هـذا

المجال لا يقل أهمية عما فعله المثقفون في الثورة الفرنسية والنهضة الأوربية الحديثة ، ولذلك كله أردت بيان أهمية هذه الشخصية وتأثيرها في مجريات السياسة الإيرانية ومجمل الحركة الوطنية فيها .

السيد جمال الدين الأفغاني : آراؤه وأفكاره

لا نتطرق في هذا البحث الى حياة السيد من حيث الأصل والقومية والنشأة والولادة وما أثير عن اصل مولده أكان في إيران في قرية تدعى (أسد آباد) قرب مدينة همدان أم كان في أفغانستان ؟ ولا نتطرق أيضاً الى مذهبه أكان من أهل السنة أم من الشيعة ؟ فقد كتب الكثير عن هذا الموضوع ولكن السيد عرف عند معاصريه ومن التقاهم بجملة من الصفات الخلقية والدينية

والوطنية ، فقد كان مؤمناً صادق الايمان محباً للإنسان والإنسانية متفانياً في حب الوطن وخدمته في مراحلة من مراحل تأريخ إيران الحديث . ودلت الوثائق على زهده في الدنيا ورغبته عن هوى النفس والأغراض الدنيوية غير ملتفت الى بريق الدنيا الفانية .

ودعت هذه الصفات وغيرها من عزم صادق وجرأة في إبداء الرأي وبلاغة في البيان وفصاحة في اللسان الى أن تتناقل الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية شهرته وفضله وأفكاره وتقف منه مواقف متباينة من حيث الرفض أو القبول أو بين هذا وذاك ، وإن كان أغلب المثقفين المسلمين قد بهرهم في دعوته الى الجامعة الإسلامية والحرية السياسية والأخذ بأسباب التطور العلمي والثقافي والارتقاء بالملل الإسلامية

ودولها الى مصاف الدول الأوربية ، في حين نصب له العداء المغرضون والمفسدون وضيقو الأفق والمتعصبون من علماء الدين والذين تتناقض أفكاره مع مصالحهم الشخصية ، يضاف الى ذلك الأجانب الذين استهوتهم الممالك الإسلامية وإيران خاصة لما لها من موضع مهم وثروة اقتصادية مذخورة في الأرض كالإنكليز والروس .

وأصدر جمال الدين مجلة (معلم شفيق) و (العروة الوثقى) وأنشأ جمعية (العروة) . وتعد العروة الوثقى من أشهر ما نشره السيد بعد سفره الى بريطانيا وفرنسا ابتداءً من سنة (١٣٠٠هـ) ، فقد نشر المجلة في باريس ، ونشرت منها بضعة أعداد ثم أغلقت بتحريض من الإنكليز . وكانت هذه المجلة أسبوعية عربية يدير

سياستها السيد ويتولى تحريرها الشيخ محمد عبده وتتولى الإنفاق عليها جمعية (العروة الوثقى) ولها فروع في الهند ومصر وغيرهما من أقطار الشرق الاسلامي ولاقت رواجاً منقطع النظير وحظرت في بعض الدول الاسلامية كمصر والدول الشرقية كالهند لما فيها من أفكار تتسم بالصراحة والجرأة ومعاداة الاستعمار ولاسيما الاستعمال البريطاني والحض على محاربته والدعوة الى استقلال الممالك الإسلامية من نفوذه والأخذ بسبل التطور العلمي والثقافي والدعوة الى الجامعة الإسلامية التي تنضوي تحتها الممالك الإسلامية جميعها وإدخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الجذرية في أنظمتها .

وعلى الرغم من صدور أعداد قليلة من العروة الوثقى فقد تلقفتها أيدي المثقفين المسلمين وعلماء الدين الداعين الى الاصلاح السياسي. وترجمت فصول منها الى بعض اللغات منها الفارسية إذ نشرت في جريدة (اطلاع) التي كانت تطبع في مدينة طهران.

نشر السيد جمال الدين أفكاره عن طريق الخطب والبيانات والمناقشات والمحاورات والمحاضرات والمراسلات فضلاً عن الصحف. وبدأ التفكير السياسي عند السيد مرتبطاً بالأوضاع الداخلية والسياسة الخارجية لإيران. وكانت معرفته بدنيا السياسة تعود الى أوائل حياته في فترة شبابه. ويعود هذا الارتباط الى زمان إقامته في مدينة (بروجرد) وقد تأثر في هذه الفترة بالمواقف السياسية لأستاذه الميرزا محمود الطباطبائي

البروجردي؛ فتأمل في سيرة حياته وسيرته الفكرية وتعمق في حادثة إبعاده الى مدينة طهران، ومنذ ذلك الحين دخل السيد مضمار الحياة السياسية ، ويعد الوضع الداخلي لإيران وسياستها الخارجية في تلك الحقبة من أهم العوامل التي كانت موضع البحث والتدقيق عند السيد . وامتازت أفكار السيد جمال الدين وآراؤه بأنها كانت (استراتيجية) لا تقتصر على زمان ومكان معينين ، وأهم ما لفت اليه الأنظار رأيه في توحيد كلمة الشرق الإسلامي إذ قال : ((أخذت على نفسي بقدر الطاقة والجهد أن أجمع الآراء المتفرقة والتصورات المختلفة ، ثم نظرت الى الشرق وشعوبه ، الى إيران وإفغانستان وجزيرة العرب والحجاز مهبط الوحي واليمن ونجد والعراق والشام والأندلس ... الخ وانتهيت الى نتيجة مفادها أن الشرق شرق ، ثم وجهت قواي

الفكريـة الـى تشـخيص المـرض الـذي انتـاب هـذا الشرق فانتهيت الى الدواء الناجع لعلاجه ، ورأيت أن أكثر الأمراض فتكاً انقسامهم وتفرقهم وتشتت آرائهم وأفكارهم واختلافهم فـي الاتحاد ، واتحادهم علـى الاختـلاف، وعملـت بعـدها الـى لفت نظـرهم وتـوعيتهم الـى الأخطـار المحدقـة بهـم مـن كـل جانب)) .

ويستفاد مـن كـلام السـيد جمـال الـدين فـي خطبــه ومقالاتــه أنــه كــان ينظــر الــى إيــران وأفغانستان على أنهما نواة الاتحاد الإسلامي الذي دعا اليه ؛ فقد وجّه كلامه الى جريدتي (فرهنك) و (اطـلاع) قائلاً: ((رجاؤنا في الأفاضل الكرام صـاحب جريـدة (فرهنـك) الأصـبهانية وصـاحب جريـدة (اطـلاع) الطهرانيـة وسـائر أربـاب الجرائـد الإيرانيــة أن يوجهــوا أفكــارهم الــى هــذا المطلــب

الرفيع ويجعلوا له محلاً فسيحاً في جرائدهم وينشروه في بلادهم وبلاد الأفغان باللسان الفارسي وهو لسان الطائفتين ، وما هي إلا أيام ثم نرى علائم النجاح إن شاء الله ربّ العالمين)).

وقال في صحيفته العروة الوثقى : ((هاتان طائفتان "الإيرانيون والأفغان" هما فرعان لشجرة واحدة وشعبتان ترجعان الى أصل واحد هو الأصل الفارسي القديم وقد زادهما ارتباطاً اجتماعهما في الديانة الحقة الإسلامية ، ولا يوجد بينهما إلا نوع من الاختلاف الجزئي لا يدعو الى شقّ العصا وتمزيق نسيج الاتحاد . وليس بسائغ عند العقول السليمة ان يكون مثل هذا التغاير الخفيف سبباً في تخالف عنيف)) .

وأطلق نداءه للإيرانيين في صحيفته قائلاً : ((فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم في العلم

وانظروا الى آثاركم في الاسلام وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية . أنتم بما سبق أحق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم في فتوة الاسلام . أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس الوحدة الاسلامية ، وما ذلك بعيد على طيب عناصركم وأظن لا يخفى عليكم أن هذا الوقت هو أحسن الأوقات لندائكم بالوحدة مع الأفغانيين والتحالف معهم على مقاومة المعادين لتكونوا بالاتحاد معهم حصناً حصيناً وحرزاً منيعاً تقف دونه أقدام الطامعين . أظنكم لم تنسوا أن استيلاء الإنكليز على الممالك الهندية إنما تم بوقوع الخلاف بينكم وبين الأفغانيين)) .

ولم يدخر السيد جهداً في مقارعة الظلم والظالمين ، وكان على خلاف غاندي زعيم الهند الداعي الى مبدأ اللا عنف ؛ فالسيد يرى أن

المظلوم ينبغي له أن يدفع عنه الظلم بالكيفية التي يستطيع بها فعل ذلك ، ومن أقواله في هذا المعنى: ((إني عدو للظالم والمظلوم ، عدو للظالم لظلمه وللمظلوم لقبوله بالظلم لأنه رضي بالظلم وكان سبباً لظلم الظالم له واعتدائه عليه)).

ومجمل افكار السيد وتوجهاته تندرج فيما يأتي :

١- تحليل الحوادث السياسية لإيران ولغيرها من الممالك الإسلامية تحليلاً دقيقاً ، ووضع الحلول المناسبة لكل دولة إسلامية من خلال أفكاره الداعية الى الحرية وحركاته السياسية والإسلامية والتماس بالجماهير والمناقشة والمباحثة في مختلف الشؤون والاستفادة من الصحف . وكان يطرح بهذه الوسائل برنامجه المدون سابقاً .

٢- كان السيد لا يترك الحملات المتقابلة للأعداء من غير جواب .

٣- استفاد من طرائق الائتلاف والعمل السري والمجابهة العلنية .

٤- لم ير صلاحاً في التفرقة المذهبية بين المسلمين ، وحاول جاهداً التقريب بين الفرق الإسلامية وتوحيدها وحذف نقاط الخلاف بينها.

٥- كان يرى أن الوحدة بين المسلمين أساس نهضتهم وترقيهم العلمي والثقافي.

٦- عني كثيراً بالثورات والتحولات الثورية .

٧- انتقد سكوت حكام المسلمين وبعض المسلمين تجاه ما يدبره الغرب لهم من مؤامرات .

٨- كان يرى أن شعار (فصل الدين عن السياسة) الذي رفعه أعداء الإسلام والعلمانيون

أخطـر عامـل فـي تـأخير المسـلمين وأفـول نجمهـم. ورأى أيضـا أن مـن حـق الشـعوب التدخل في تعيين مسيرها ومصيرها السياسيين وأن هذا الأمر يعد فريضة شعبية وشرعية في الوقت نفسه .

وترتبت على هذه الأفكار والمبادئ أهداف سياسية واجتماعية ودينية توخاها السيد من دعوته نختصرها في الأهداف الآتية :

١- نجاة المسلمين والدول الإسلامية من سلطة الأجانب .

٢- نشر القيم الإسلامية ونفي النفسية المادية .

٣- إيجاد قيم الاعتماد على النفس لدى المسلمين.

٤- العمل على الوحدة بين المسلمين والدول الإسلامية .

٥- إصلاح الأسس الفاسدة المتجهة الى الزوال للنواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

٦- التعريف بالدين الاسلامي على أنه أكمل الأديان والعقائد .

٧- مكافحة الدول الأجنبية ولاسيما تسلط بريطانيا على بعض الممالك الإسلامية ونفوذها في بعضها الآخر .

٨- العمل على نيل الاستقلال والكفاية الذاتية للدول الإسلامية الواقعة تحت سلطة الأجانب.

لقد تجلت شخصية السيد جمال الدين الأفغاني في أغلب البلدان التي زارها ووقف المعاصرون له تجاه شخصيته وأفكاره موقفين متباينين ، وغالباً ما أظهرت الطبقة المثقفة المستنيرة من المسلمين بمن فيهم علماء الدين

إعجابهم الشديد بشخصية السيد ونفوذه الروحي في المستمعين إليه وأفكاره وتوجهاته وأهدافه وطموحه .

كان السيد من الشخصيات الكبيرة التي ظهرت في العصر القاجاري وأثرت في مجريات الأحداث السياسية التي بدأت في عهد ناصر الدين شاه القاجار وانتهت الى قيام الثورة الدستورية على عهد محمد علي شاه القاجار على المدى الزمني المنظور ، بيد أن تأثيره تعدى إيران الى أغلب البلدان الإسلامية من حيث المكان ، وتعدى الفترة القاجارية الى العهود المعاصرة لإيران وغيرها من البلدان، وربما كانت الثورة الإسلامية الكبرى التي انتصرت في عام ١٩٧٩ نتيجة من نتائج أفكار السيد جمال الدين أو ثمرة من ثمرات كفاحه الطويل الذي انتهى بشهادته

مسموماً على رأي او مصاباً بمرض عضال على رأي آخر في إقامته الجبرية في إسطنبول بأمر من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني .

لقد رأى فيه أغلب معاصريه مصلحاً ومفكراً كبيراً وفيلسوفاً إسلامياً عظيم الشأن، ومنهم من أنكر ذلك وقال ضد هذا الكلام ورأى في السيد فرداً تتجاذبه الأهواء والأحاسيس المختلفة مجازفاً صاحب فتنة محباً لإحداث الاضطراب، لا دين له. وربما كان السيد سبباً في بعض الآراء المتباينة فيه لأنه كان يتعمد إخفاء حقيقة شخصيته الواقعية ويتجنب بذلك إعطاء الذريعة لأعدائه ومخالفيه، لذلك عمد الى تغيير ملبسه الظاهري وتفاوتت مشخصاته بين بلد وآخر؛ فكان يلبس – على سبيل المثال – عمامة بيضاء في الهند ومصر ، وعمامة سوداء في إيران ، و

(فينة) في إسطنبول ، ويتلقب في البلدان العربية والأوربية بـ(الأفغاني) و (الكابلي) ، وفي أفغانستان بـ(الاسطنبولي) . ويتسمى في بعض الأماكن بـ(جمال) و (جمال الدين) ، ويطلق على نفسه لقب (أسد آبادي) حيناً و (الحسيني) و (الطوسي) حيناً آخر.

وبقي السيد جمال الدين في أعين الدارسين والباحثين الى عصرنا هذا موضع إثارة وإعجاب وتعجب غير أن اكثر الباحثين الذين درسوا حياته وشخصيته وأفكاره وأعماله دراسة دقيقة فاحصة موثقة بالوثائق يميلون الى تنزيهه مما اتهم به ومدحه والثناء عليه . ونكتفي بإيراد قولين فيه ، أحدهما لمؤلف كتاب (تاريخ الثورة الدستورية في إيران) الدكتور مهدي ملكزاده ، وهو باحث ومؤرخ كبير ، ويعد كتابه الذي يقع في عدة أجزاء

مـن أهـم الكتـب المؤلفـة فـي الثـورة الدسـتورية (المشروطة) . قـال ملكـزاده يصـف السيد جمـال الـدين : ((كـان عـدواً للظلـم والحكـم الـدكتاتوري ويعتقد أن دول العالم ولاسيما دول المسلمين ما لم يفكوا عنهم أغلال الأسر والاستبداد ويتراصوا في ظل حكومات وطنية لن ينالوا نعمة الترقي والتقدم ولن يخرجوا عن سلطان الاجانب ونفوذهم))

والقـول الآخـر لفيلسـوف الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة الشـهيد مطهـري ، فقـد قـال فـي كتابـه المعنون بـ(دراسة إجمالية في النهضات الإسلامية في المائة سنة الأخيرة) : ((لا شك في أن السيد جمـال الـدين كـان المحـرك الأسـاس لسلسـلة النهضـات الإصـلاحية فـي المائـة سنة الأخيـرة . هو الذي بدأ بإيقاظ الدول الإسلامية من نومها .

شخص الأمراض الاجتماعية للمسلمين بنظرته الواقعية للأمور وأرشدهم الى طريق الإصلاح)).

علاقة السيد جمال الدين بالبلاط القاجاري

عاصر السيد جمال الدين السلطان القاجاري ناصر الدين شاه كما تقدم ذكره، وفي هذا العهد الذي امتد خمسين سنة ظهرت بوادر المطالبة بالدستور والحريات العامة . واتصفت علاقة السيد بالبلاط القاجاري بين الشدة والرخاوة والسلب والإيجاب الى ان انتهت بترحيله من إيران وما عقب ذلك من اغتيال الشاه على يد أحد المناصرين المتشددين للسيد .

سافر السيد جمال الدين الى إيران بناء على دعوة رسمية وجهها اليه مسعود ميرزا الملقب بـ(ظل السلطان) أحد أركان الحكومة القاجارية ،

فتوجه في بادئ الامر الى أصفهان واستقبل بحفاوة كبيرة ، ثم انتقل الى طهران فاستقبله الشاه بترحاب وكان موضع رعايته واستمع اليه والى أفكاره . وكان السيد من الذين يستعجلون الإصلاح في شؤون الدولة ومشاركة الشعب في الحكم ، وقد أشار عليه بعض أصحابه ومريديه وطلابه بالتأني والدعوة الى مثل هذه الأمور تدريجاً .

ولما رأى ناصر الدين شاه أن للسيد نفوذاً معنوياً في كثير من مريديه ولاسيما كبار المسؤولين في الدولة والعلماء والأفاضل توجّس منه خيفة وداخله الشك والظن فتغيرت معاملته للسيد .

ووجه السيد في زيارته لأوربا أكبر نقده لما لقي منه من جفاء ، وسعى لإنقاذ إيران من

الاستبداد وإنهاء ظلم القاجاريين للناس . وكان يدعو صراحة الى إسقاط الحكم الاستبدادي وتغييره الى حكم دستوري أي الى ملكية يكون فيها الملك مقيداً بالدستور وما اصطلح عليه في الفارسية بـ(المشروطة) .

وطاف السيد جمال الدين أوربا الى سنة ١٨٨٩م ، والتقى ناصر الدين شاه في ميونخ ، وذاع صيته وشهرته في أوربا وآسيا فعاد الشاه ووجّه إليه دعوة أخرى لزيارة إيران وقام بالدعوة وزيره ميرزا حسين خان صنيع الدولة . وبناء على هذه الدعوة وصل السيد الى بوشهر في شعبان من سنة ١٣٠٣هـ وحل ضيفاً بمنزل الحاج أحمد خان سرتيب وأهدى الى سديد السلطنة ولد الحاج أحمد الذي كان مشغولاً بتحصيل العلم كتاب (الجغرافية والهيئة) للميرزا عبد الغفار نجم الملك

المطبوع في طهران سنة ١٣٠٠هـ ، وكتاب (سيرة نابليون الأول) المطبوع في باريس سنة ١٨٥٦م، والترجمة العربية لكتاب (كلستان) لسعدي الشيرازي المطبوعة في مصر ، والترجمة الفارسية لكتاب (كليلة ودمنة) (ترجمه عبد الله بن المقفع الى العربية) المطبوعة في بومباي سنة ١٢٩٥هـ. وقرأ السيد في هذه الفترة كتاب ناسخ التواريخ .

وفي عودته الثانية الى إيران سنة ١٣٠٣هـ التقى ناصر الدين شاه في طهران بعد سنة من عودته وتذاكر معه ، ولم يتحمله الشاه لأن طريقة السيد في الكلام وصراحته وما تضمنه كلامه من الوقائع والحقائق لم يستسغها الشاه ولذلك رأى أن بقاءه في طهران خلاف صالحه وصالح حكومته وفضل إرساله الى مكان آخر وبدأ بعرقلة عمله

وهيأ له ظروفاً صعبة قاسية وأمر جواسيسه بتعقبه في كل مكان ورصد حركاته وإبلاغ الشاه بتحركاته وأفعاله . ولم يطق البلاط الملكي صبراً فقرر إخراجه ، وفي سنة ١٣٠٤ هـ غادر السيد إيران متوجهاً الى روسيا ثم سافر منها الى ألمانيا ثم عاد الى روسيا مرة أخرى ، وعاد في السنة نفسها الى إيران . وفي سنة ١٣٠٨هـ أبعد الى مدينة الريّ ، وقضى أيامه في حرم السيد عبد العظيم الحسني (ع) ومرض مرضاً شديداً ونفذ الصدر الاعظم (أمين السلطان) امراً لناصر الدين شاه يقضي بإخراج السيد ونفيه الى تركيا ؛ فأخرج السيد الذي كان معتصماً بحرم السيد عبد العظيم الحسني (ع) الكائن في مدينة شاه عبد العظيم عنوة وعلى نحو مسيء إذ ضربه رجال الشرطة والحرس وتعرض لإهانات الأوباش

والأراذل من الناس وأشاعوا عنه بأنه (بهائي) أمر السلطان بطرده .

إن نفي السيد جمال الدين الى تركيا على النحو المزري الذي ذكرناه سّبب اضطراباً شعبيّاً كبيراً في إيران ولاسيما عند مريديه وأنصاره الذين ما لبثوا أن ألفوا تجمعاً مناصراً له ولأفكاره ، وأثار هذا الأمر قلق البلاط القاجاري ، وكان الميرزا رضا الكرماني إحدى الشخصيات المتحمسة للسيد جمال الدين قد توجّه الى تركيا والتقى السيد وشكا إليه ما عاناه في السجن من التعذيب والمهانة ، فتلقى من السيد كلمات أثارت فيه الجرأة فعاد الى إيران وتربص بناصر الدين شاه عند خروجه من حرم السيد عبد العظيم الحسني (ع) الذي كان يزوره احتفالاً بمضي خمسين عاماً على توليه

العرش فأطلق عليه النار من مسدس كان يخفيه فأرداه قتيلاً .

انتشرت أفكار السيد وآراؤه في الإصلاح السياسي بين طبقات المثقفين وعلماء الدين في إيران ، وبرز في هذا المجال ثلاثة من مريدي السيد وطلابه هم: الشيخ أحمد روحي والميرزا آقاخان الكرماني والميرزا حسن خان خبير الملك . وتحملوا في سبيل ذلك الصعوبات الجمة وتعرضوا للتعذيب . وحرض هؤلاء الثلاثة علماء الدين في إيران والعراق على ناصر الدين شاه وأمين السلطان واستبدادهما وهيجوا الملايين في إيران وأرسلوا الرسائل تلو الرسائل الى الرؤساء وعلماء الدين لإثارتهم .

واطلع البلاط الملكي على بعض من تلك الرسائل فخاف الشاه الفتنة وطلب من سفيره في

الدولـة العثمانيـة محمـد خـان عـلاء الملـك ديبـا الاتصـال بـالمعنيين فـي الدولـة والعمـل المشـترك علـى تهدئـة هؤلاء الثلاثـة الـذين كـانوا آنـذاك فـي تركيـا وإبلاغهـم العواقـب السـيئة لأعمـالهم وإذا اقتضى الأمر طردهم وتسليمهم للحكومة الإيرانية؛ فاسـتجابت السـلطات فـي الدولـة العثمانيـة سـنة ١٣١٢هـ لمطالـب السفير الإيرانـي وألقت القبض عليهم وأبعدتهم الى ميناء طرابوزان وسجنوا هناك. وبعـد اغتيـال ناصـر الـدين شـاه علـى يـد الميـرزا رضـا الكرمـاني توجهت شكوك السلطات الايرانية الـى هؤلاء الثلاثـة المسجونين فـي تركيا من حيث ارتبـاطهم بحادثـة اغتيـال الشـاه ، فطالبـت الدولـة العثمانيـة بتسليم السيد جمـال الـدين ورفاقه الثلاثـة المحتجــزين عنــدهم فأجابــت الدولــة العثمانيــة وسلمت الثلاثة المسجونين في طرابوزان وامتنعت

عن تسليم السيد جمال الدين خشية من تألب الرأي العام الإسلامي عليها ، فاقتيد الثلاثة الى إيران ونفذ فيهم حكم الإعدام شنقاً بأمر من ولي العهد محمد علي ميرزا الذي أصبح الشاه بعد أبيه مظفر الدين شاه . ووجه السيد جمال الدين نقده اللاذع الى بريطانيا التي كانت مسيطرة من حيث النفوذ على مجمل الشرق الأوسط وتسعى الى بسط نفوذها على إيران وغيرها من الممالك الإسلامية . وتعد بريطانيا من حيث تنظير السيد أخطر أعداء الإسلام والمسلمين ؛ فقد كان على علم كامل بسياستها في إيران إذ إنها لم تقتصر على تأمين منافعها الاقتصادية والثقافية والإجتماعية فقط بل طالت حتى بعض الشؤون الدينية . وكان الساسة الانكليز يعلمون جيداً أنهم لو فصلوا الدين عن شعب إيران وزلزلوا عقائدهم

لتمكنوا من السيطرة عليهم ، ولذلك سعوا الى تحقير الشعب وضربوا القيم الإسلامية والمعنوية بعرض الحائط وروجوا للنظرة المادية والفلسفة العلمانية ، وينقل عن رئيس وزراء بريطانيا في تلك الفترة قوله : ((ما دام هذا الكتاب " ويعني به القرآن" دليل المسلمين وقائدهم في مسيرتهم لا يمكن أن تترسخ قواعد سياستنا في أرضهم وتستقر)) . وقال في كلام آخر له : ((إن الانتشار السريع لنفوذ بريطانيا العظمى في إيران والممالك الإسلامية الأخرى لا يكون ممكننا وميسراً إلا إذا سعينا وفق برامج محسوبة الى محو تأثير هذا الكتاب " ويعني به القرآن الكريم " في المسلمين ، وبخلاف ذلك لا يمكننا الفوز والانتصار عليهم)) .

والنصر الكبير الذي حققه السيد جمال الدين وأنصاره على الإنكليز في المسألة المعروفة بـ(امتياز تالبوت) او امتياز التبغ والتنباك يعد نكسة للسياسة البريطانية ؛ فقد حقق هذا النصر كسر الاحتكار البريطاني وأخاف دولاً أخرى كروسيا من السعي للحصول على امتيازات في إيران . وأفاد أكثر الباحثين أن مسألة (تالبو) كانت من جملة العوامل على قيام الثورة الدستورية فيما بعد .

إن هذه المعاهدة مثال واضح للامتيازات الاقتصادية التي منحتها الحكومة الإيرانية للدول الأجنبية ولاسيما بريطانيا وروسيا . ومفاد هذه المعاهدة أنه في سنة ١٣٠٦هـ وهي السنوات الأخيرة من حياة ناصر الدين شاه منحت الحكومة امتياز التبغ والتنباك (تبغ النارجيلة) لمشاور

رئيس وزراء بريطانيا المقدم (جرالد تالبوت) ، وقد منحه الشاه هذا الامتياز في سفرته الثالثة الى أوربا ، وتأسست بموجب ذلك شركة تدعى (شركة تنباك شاهنشاهية إيران) . وأثار هذا التصرف حفيظة الشعب وقادته السياسيين والدينيين من طلاب (الإصلاح) وعلى رأسهم السيد جمال الدين فنشروا المقالات في الصحف وأرسلوا الرسائل الى من يعنيهم الأمر ، ومنها الرسالة التي أرسلها السيد الى المرجع الديني الأعلى آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي الذي كان مقيماً بالعراق فافتى على إثرها بتحريم تعاطي التبغ والتنباك ، وحصل ما يشبه الثورة فاضطرت الحكومة الإيرانية الى إلغاء المعاهدة وسحب الامتياز في شهر جمادى الأولى سنة (١٣٠٩هـ) .

أهم المصادر

١- جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده: العروة الوثقى – دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٧٠ .

٢- رمضانى (عباس) : سيد جمال الدين أسد آبادى – تهران ١٣٨٣ هـ.ش.

٣- مدرسى جهاردهى (مرتضى) : سيد جمال الدين وأنديشه هاى أو – مؤسسة انتشارات أمير كبير – تهران ١٣٨١ هـ .ش.

٤- ملكزاده (مهدى) : تاريخ انقلاب مشروطيت إيران – تهران ١٣٣١ هـ . ش.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
أوضاع إيران في العصر القاجاري	٣
السيد جمال الدين الأفغاني : آراؤه وأفكاره	٩
علاقة السيد جمال الدين بالبلاط القاجاري	٢٦
اهم المصادر	٣٩